

تفسير البحر المحيط

@ 408 @ .

وقال الزمخشري : وإنما جعله رجلاً ليكون أفطن لما شقى به أو سعد ، فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك . وانتصب مثلاً على التمييز المنقول من الفاعل ، إذ التقدير : هل يستوي مثلهما ؟ واقتصر في التمييز على الواحد ، لأنه المقتصر عليه أو لا في قوله : { ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا } ، وليبان الجنس . وقرء : مثلين ، فطابق حال الرجلين . وقال الزمخشري : ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في استويان للمثلين ، لأن التقدير مثل رجل ، والمعنى : هل استويان فيما يرجع إلى الوصفية ؟ كما يقول : كفى بهما رجلين . انتهى . والظاهر أنه يعود الضمير في استويان إلى الرجلين ، فأما إذا جعلته عائداً إلى المثلين اللذين ذكر أن التقدير مثل رجل ورجل ، فإن التمييز إذ ذاك يكون قد فهم من المميز الذي هو الضمير ، إذ يصير التقدير : هل يستوي المثلان مثلين ؟ قل : { الْحَمْدُ لِلّٰهِ } : أي الثناء والمدح لا لغيره ، وهو الذي ثبتت وحدانيته ، فهو الذي يجب أن يحمده ، { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } ، فيشركون به غيره . ولفظة الحمد لا تشعر بوقوع الهلاك بهم بقوله : { فَاقْطِيعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا } وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

ولما لم يلتفتوا إلى هذه الدلائل الباهرة ، أخبر الجميع بأنهم ميتون وصائرون إليه ، وأن اختتامكم يكون بين يديه يوم القيامة ، وهو الحكم العدل ، فيتميز المحق من المبطل ، وهو عليه السلام وأتباعه المحقون الفائزون بالظفر والغلبة ، والكافرون هم المبطلون . فالضمير في وإنك خطاب للرسول ، وتدخل معه أمته في ذلك . والظاهر عود الضمير في { وَإِنَّ زَنْهُمْ } على الكفار ، وغلب ضمير الخطاب في { إِنَّ زَنْهُمْ } على ضمير الغيبة في إنهم ، ولذلك جاء { تَخْتَصِمُونَ } بالخطاب ، فتحتج أنت عليهم بأنك قد بلغت ، وكذبوا واجتهدت في الدعوة ، ولجوا في العناد . وقال أبو العالية : هم أهل القبلة ، يختصمون بينهم يوم القيامة في مطالبهم . وأبعد من ذهب إلى أن هذا الخصام سببه ما كان في قتل عثمان ، وما جرى بين علي ومعاوية بسبب ذلك ، رضى الله عنهم . وقيل : يختصم الجميع ، فالكفار يخاصم بعضهم بعضاً حتى يقال لهم : لا تختصموا لدي . والمؤمنون يتلقون الكافرين بالحجج ، وأهل القبلة يكون بينهم الخصام . وقرأ ابن الزبير ، وابن أبي إسحاق ، وابن محيص ، وعيسى ، واليماني ، وابن أبي غوث ، وابن أبي عبلة : إنك مائت وإنهم مائتون ، وهي تشعر بحدوث الصفة ؛ والجمهور : ميت وميتون ، وهي تشعر بالثبوت واللزوم كالحى . .

2 ({ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ
جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ * وَالَّذِي جَاءَ
بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ
أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا
يَعْمَلُونَ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّسُ فُؤُوكَ بِالَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ مَّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ * وَلَتُنسَأَلَنَّ
هُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ
مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ
كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ حَاسِمَاتُ
اللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِ
تِيهَ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * إِنَّا أَنْزَلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ